

الباحثين همة ومهارة ، أما ما وجدته الاسكندر الكبير في الهند وشاهده هناك فسوف أحكيه فيما بعد ، أو على الأقل سأروي بعضا منه.

لقد شارف هذا العام الآن على الانتهاء فليمض الرب في حكمه على سنة هذا الزمن ، ويندمج الآن هذا العام في العام المقبل.

حملة ملك القدس على ملك دمشق:

في عام ١١٢٦ لتجسيد مولانا ، وخلال الخمس عشرية الثالثة بعد الاحتفال بعيد الميلاد في القدس ، حشد الملك جيشه بهدف شن هجوم على ملك دمشق ، وبعدما أعلن المستنقزون التعبئة ، تحركت الطاقة البشرية في مملكة القدس ، تحركت برمتها فرسانا ومشاة ، وزحف رجال يافا والرملة وكذلك اللد عبر نابلس ، وساروا على طريق بيسان بينما سار رجال عكا وصور على الطريق الشمالية.

وتحت قيادة الملك عابروا بلدة صفورية ، وكان جبل طابور على يمينهم ، ووصلوا الى طبرية ، وهناك انضم اليهم رجال القدس ، ثم عبروا جميعا نهر الأردن ، واستراحوا بأمان في معسكرهم.

شعر:

عم الهدوء والسكون في تلك الليلة الصافية.
وأضاعت الالهة القمر السادس عشر

وعند بزوغ الفجر زعقت الأبواق اشارة الرحيل ، ليغادر الرجال معسكرهم ، فكان أن قوضوا خيامهم واستعدوا جميعا لاستئناف المسير ، ووضعوا أثقالهم وأمتعتههم على ظهور بغالهم وجمالهم وبقية دواب التحميل ، مما اثار كثيرا من الجلبة ، وتعلت الأصوات ونهقت الحمير وصهلت الخيول وارتفع رغاء الجمال ، ثم بدأ الكشفة في استطلاع الممرات للمشاة ، وعندما زعقت البوقات ، اختار الرجال بكل عناية أفضل الطرق لزحفهم.

وبعدما توغلوا في بلاد الأعداء ، وافقوا بعقل على الزحف بأعلام منكسة ، ولبسوا دروعهم خشبية أن يباغتهم خطر ليس بالحسبان ، ثم اجتازوا شعاب وادي الراحوب ودخلوا الى منطقة دمشق وقضوا ليلتين خلف الوادي ، وينبع من هنا جدول يجري نحو بيسان من خلال بحر الجليل ثم يصب بالأردن ، وبعد هذا دمروا حصنا عبروه في طريقهم ، وهكذا وصلوا الى موقع حصين اسمه سالومي ، فخرج السريان والنصارى الذين قطنوا هناك في موكب لاستقبال الملك.

وأقبلوا بعد ذلك على واد اسمه « مرج الصفر » وذلك هو المكان الذي ضرب الرب فيه الرسول بولس ، وفقد بصره لمدة ثلاثة أيام (أعمال الرسل : ٩ / ٣ - ٩) وهناك توقفوا لمدة يومين ، ومن هناك شاهدوا خيام أهل دمشق الذين يتربصون هناك بانتظار جيشنا.

وعاد (بوري) ابن الملك طغتكين بعد أن كان غائبا ، حيث جمع بهمة ونشاط قوة مكونة من ثلاثة آلاف فارس ، حشدتها من جميع الجهات ، والتحق بوالده استعدادا للمعركة ، وكان وصوله في اليوم الذي تقدم على المعركة.

وفي الحال تم ترتيب فرساننا ورجالنا في اثني عشر كروبوسا وهي طريقة تمكنهم من أن يدعم واحداهم الآخر عند اقتضاء الضرورة ، وبعدما شارك الجميع في القداس وتناولوا خبز الشركة المقدس ، ضموا صفوفهم على خط القتال ، ثم شرعوا في القتال وهم ينادون « الرب يعيننا » .

وهل الأتراك أيضا وقاتلوا بشجاعة وعنف ، ودهشوا للبسالة التي أبداها هؤلاء الذين استخفوا بهم وكأنهم كانوا قد قهروهم فعلا ، فتخلت عنهم شجاعتهم ، وعزموا على الفرار بعدما خارت عزائمهم ، فانهم طغتكين وكذلك فعل ابنه ، واشتد الحال وزاد الضغط على رجالنا وبات عليهم أن يحتملوا فوق القدرة على الاحتمال ، ومع هذا ارتفعت شجاعتهم وازدادت أكثر فأكثر ، وهكذا ظلوا ثابتين صامدين في عزيمتهم.

على أن وابلا من سهام الأتراك انهمرت على المسيحيين فما سلم جزء من أجسادهم من كدم أو كلم ، والحق يقال لم يشهد رجالنا قط معركة أشد عنفا أو أعظم هولا ، لهذا كانوا يتراكمون محتدين ، وقد تعالى صخب المعركة حولهم وحمى وطيسها ، وتعالى زعقات الأبواق وأصوات النفر .

وفي ذلك الوقت طوق الأتراك رجالنا ، وأصابوا عددا كبيرا منهم بجراح ، فلانوا بالفرار لكنهم بعدما جربوا ذلك لمسافة أربعة أميال عطفوا رؤوس خيولهم ورجعوا على الأتراك كما وجب عليهم ولزم ، وباشروا القتال وقد ارتفعت حماسهم واشتد اقبالهم على الحرب .

شعر:

وافق يوم المعركة المقدس هذا يوم الذكرى السنوية
لاعتناق بولس دينه ، بولس الذي اصطفاه الرب.

ونشب قتال هذه المعركة في الساعة الثالثة من النهار ، ووضعت
العتمة حدا له بنصر منحنا اياه الرب.

المعركة محفوفة بالمخاطر ، والفرار عار وخزي فاضح ، ولكن قد
يكون من الانسب أن يعيش المرء مستضعفا على أن يموت ويندب
موته الى الابد ، لهذا أثر الأتراك الفرار لكي يحافظوا على
حياتهم ، وفي الحقيقة لاقى أكثر من ألفي فارس تركي حتفهم على
أرض المعركة فضلا عن الرجال الذين لم يرد ذكرهم ، وفقدنا نحن
أربعة عشر فارسا وثمانين من الرجال.

وكان تصرف مليكنا في ذلك اليوم رائعا ، ومثله كان تصرف
فرسانه ورجال معسكره جميعا ، حيث أن الرب القدير كان معهم
بذاته ، وفر ملك سورية وكل من تمكن من اللحاق به ، وعاد مليكنا
الى القدس وقد امتلأ نشوة بظفره.

وبعد صدور الأوامر بالعودة حاصر رجالنا حصنا كان فيه ستة
وتسعون رجلا ، فاستولوا عليه وقتلوهم كما استولى الملك على
حصن آخر كان فيه عشرين تركيا ، قد التجأوا اليه ، وعندما تيقن
هؤلاء أن رجالنا بدأوا بالحفر حول الحصن وبنزع الحجارة الكبيرة
من السور استسلموا وتخلوا عن حصنهم المنيع الى الملك لشدة
خوفهم ، وأنن لهم الملك بالمغادرة حسب اتفاق التسليم ، ثم هدم
الحصن ، واملت تدميره ضرورات المصلحة ، ذلك أن حصانته كانت
ستغوي الكثيرين بالتمرد ، إذ كان من الممكن أن يصلح ملجأ أمينا
لن يملكه ، فيصمد فيه فيكون مصدرا للريبة والقلق لمن يهاجمه.

علني أسباب الضجر للسامعين لروايتي لو أنني حكيت كل التفاصيل التي حدثت في الحرب أو نتجت عنها ، سواء بالعنف أو بالحيلة ، فقد أحضر أهالي دمشق معهم شبانا انتقوهم لرشاقتهم في الحركة ، وكانوا مسلحين ، وقد امتطوا الخيول وراء الفرسان الأتراك ، وفور مقابلة الأعداء ترحلوا بسرعة وقاتلوا كمشاة ، بينما تابع الفرسان الذين أحضروهم القتال في الجانب الآخر.

حصار مدينة رمنية ونهر سبتكس :

كتب الأوائل « ليس هناك شيء مبارك من كل ناحية » وهكذا ليس من الممكن أن تكون البركة الكاملة قد حصلت في هذه المعركة ، إذ أننا فقدنا أربعة عشر من خيرة فرساننا وذلك بالإضافة الى بعض الرجال الشجعان ، لكن ذلك لا يذكر أمام المذبحة التي حلت بين صفوف الأعداء .

وتفسر كلمة دمشق بأنها « شرب الدم » أو « تقبيل الدم » ، فقد قرأنا أنه في دمشق جرى سفك دم هابيل ، وبالفعل إن أهل دمشق قاتلين على الاغتسال بدم القتلى ، بل أكثر من هذا قاتلين على أن يشربوا من دم أنفسهم بأن يطرحوا أنفسهم متمددين ووجوههم منبطحة على الأرض.

وأخيرا عاد الملك مع جيشه الى القدس حيث أمضى الجميع ذلك اليوم في اجازة ، وفي تقديم صلوات الشكر ، وبعد أمد وجيز استجاب الملك لتوسلات كونت طرابلس ، وزحف لاعانته في حصار بلدة تدعى رمنية تقع على سفح جبل لبنان ، وحسبما ذكر يوسفوس في هذه المنطقة « ما بين أرشاص ورفنية يجري نهر له صفة فريدة عجيبة ، ذلك أنه سريع التيار عندما تتدفق مياهه ، غير

أن ينابيعه تنضب بعد ستة أيام حتى يبدو موقعه وكأنه قد جف وفي اليوم السابع وبدون أي سبب ظاهر يرتفع ماء النهر ثانية ، ولقد وجد أنه يعيد تكرار هذه العملية على الدوام وحسب الوتيرة نفسها ، ولذلك دعي هذا النهر بالنهر السبتي - سبتكس - نسبة الى السبت ، وهو اليوم السابع من الاسبوع ، وهو أيضا اليوم الذي يقده اليهود.

وبالفعل قضى الأمير طيطس بعض الوقت حول بيروت ، ثم غادرها وهو يثني على هذا المشهد الذي فاق بروعه كل مشاهده في المدن السورية التي زارها ، وقد ازداد إعجابه بهذا النهر (قوار الدير) ورأى ظاهرة جديدة بالتقدير العفوي.

شأن نهر آخر

ويحكي المؤرخ نفسه خبر أعجوبه أخرى ، فيقول إنه على مقربة من مدينة عكا كان هنالك جدول (نهر النعامين) ضئيل المياه كثيرا ، يبعد حوالي ربع ميل عن المدينة ويدعي « بيلوس » وهو قرب كنيسة ممنون ، وهو بالفعل جدير بكل إعجاب ، لأنه على شكل واد مستدير ، وهو ينتج رملا زجاجيا ، وبعد أن تأتي المراكب اليه وتنقل الرمل منه يعود الموقع فيمتليء بالرمل ، وتحمل الرياح بطبيعتها رمالا أخرى من التلال المحيطة بالوادي ، والذي يثير عجبى فوق هذا كله ، انه كلما طرح جزء من ذلك الرمل الزجاجي الى حافة المكان عاد ثانية ليصبح رملا عاليا.

الاستيلاء على مدينة رفنية :

سقطت رفنية التي تقدمت مني الاشارة اليها باقتضاب على

النحو التالي: بعدما حاصر الملك والكونت المسلمين داخلها لمدة ثمانية عشر يوما ، وبعد قذفها بشدة بحجارة المجانيق استسلم سكان المدينة وغادروها دون أن يمسسهم أذى ، ووقع ذلك في آخر أيام آذار ، وهكذا تسلم كونت طرابلس المدينة وبيات سيدها منذ ذلك الحين وقد أعاد تحصينها ، لكن ملك القدس رجع الى القدس.

وفاة الأمبراطور الروماني:

فيما كنا نحتفل بعيد الفصح (١١ - نيسان ١١٢٦) في القدس ، نقل إلينا الحجاج أخبارا أفادت ب وفاة الأمبراطور الروماني (هنري الخامس - ت ٢٣ / ٥ / ١١٢٥) وأضافت أن دوق سكسوني المدعو لوثير قد ارتقى عرش الأمبراطورية .

شعر

عندما توفي هنري أنار برج العذراء
وإثر ذلك حكم لوثير ابن الدوق وغدا ملكا .

حملة الملك على المصريين:

شرع الملك بعد فترة وجيزة في إعداد حملة من مدينة صور ، وهبط نحو سورية السفلى (الشمالية) بعد أن خلف وراءه قسما من فرسانه واصطحب معه القسم الآخر ، وقد فعل ذلك على الرغم من سماعه بأقاويل حكمت عن استعدادات للمصريين للحرب ، وبوشوك زحفهم ضدها .

فلقد عزم على المبادرة إلى الموقع الذي سمع أن العدو سوف يهاجمه ، فالملك بلدوين كان مثله مثل الخنزير الكاسر ، وقد أحاطت به الكلاب من كل جانب تنهشه بعضائتها المتوالية ، فاضطر أن يدافع عن نفسه ويضرب يمينا ويسارا ، وينقض عليهم مكشرا عن أنيابيه بكل شراسة ، وحسبما اعتدنا القول : « تمتد اليد إلى حيث يوجد الألم »

وكان الأتراك قبل وصول الملك إلى هناك قد احتلوا موقعا يشبه القلعة ، ولما كان ذلك الموقع مصدر ازعاج للأتراك فقد توجب علينا استرداده ، وكان جنودنا قد تسللوا منه بمهارة فائقة خلال الليل ناشدين النجاة ، وقد خلفوا وراءهم فيه أزواجهم وأولادهم ، ذلك أنهم أثروا إنقاذ بعضهم على فقدان الجميع .

وفي منتصف تموز من ذلك الصيف بدأ مذبذب بالظهور مابين الشرق والشمال ، وقد ظهر قبيل الفجر وظل شعاعه يسطع حتى حوالي الساعة التاسعة ، ثم بدأ مثل ضوء خافت ، وبذلنا جهدنا لمدة ثمانية عشر يوما حتى ندرك مغزاه ، فلم نستطع فسلمنا ذلك إلى خالقنا أجمعين .

وحاصر الأتراك في تلك الآونة بلدة الأثارب ، وكان البرسقي ابرز قادتهم ، وما أن سمعوا بمقدم ملكنا الذي كان يتعقب خطاهم ، حتى انسحبوا إلى مواقع دفاعية أكثر امانا ، وقد أحبطت مخططاتهم لأنه لم يكن لديهم ما يزيد على ستة الاف جندي ، ولهذا عاد الملك إلى انطاكية .

الأسطول المصري :

بعدما جدد المصريون في هذا العام أسطولهم وحشودهم أبحروا

تدفعهم ريح جنوبية وبخلوا إلى بلاد الفلسطينيين ، ومروا أولا بالفرما فالعريش فغزة ثم عسقلان ، وكذلك يافا وقيسارية وعكا وصور ، فاستطلعوا المنطقة وتفحصوا الشاطئ خلسة حتى حدود مدينة بيروت ، وتصيدوا وفتشوا من مرفأ إلى مرفأ ليروا فيما إذا كان بإمكانهم العثور على مايعود عليهم بالمنفعة وعلى المسيحيين بالضرر ، ولما كانوا آنذاك قد أخذوا يعانون كثيرا من شح المياه العذبة ، فقد اضطروا إلى النزول على اليابسة لكي يملأوا أوعيتهم من الجداول والينابيع وحتى يطفئوا ظمأهم .

واستاء سكان المدينة المذكورة من ذلك ، وخرجوا على الفور بكل جسارة وقاموا بدون تردد بشن هجوم عليهم ، وكان قد انضم إليهم بعض المسافرين الذين صدف وجودهم هناك ، وسقط من أولئك القراصنة مائة وثلاثين قتلى أو أنهم أصيبوا بجراح قاتلة ، وفي الحقيقة نزل خمسة آلاف من الأعداء إلى اليابسة ، وغادروا سفنهم ليقاتلوا رجالنا ، علما بأنه بقي في السفن من تولى العناية بها وحراستها ، وكان عدد السفن اثنتين وعشرين سفينة ثلاثية المجاذيف ، وثلاث وخمسين سفينة من أنواع أخرى .

وكان أعداؤنا قساة القلوب غلاظا ، لم يكن في قلوبهم شفقة على من استطاعوا أن يخضعوا لسيطرتهم ، يجدون متعة بممارسة وحشيتهم على بني جلدتنا .

ونحن نحمد الرب لأنهم لم يحققوا فائدة ترجى في هذه المرة ، حيث تمكن فرساننا برماحهم وقسيهم ونبالهم من صددهم ثم قذفوهم إلى البحر ، وانزلوا بهم هزيمة نكراء لم تكن عندهم بالحسبان ، فذشروا أشرعتهم بدون تباطؤ ، وانحرفوا متجهين نحو طرابلس ، ثم قبرص .

رحلة بوهيموند الأصغر :

وكان الحجاج والمراسلون قد نقلوا إلينا في ذلك العام مرارا وتكرارا تقارير أعلنت عن حضور بوهيموند الأصغر ، غير أن مانقلوه قد خدعنا وكان مجرد شائعات ، لأن بوهيموند خاف من الأسطول المصري ، أو الأصح أسطول القراصنة الذي علم أنه قد انتشر في البحر ، وفي الوقت نفسه كان بوهيموند شديد القلق على بلاده نفسها ، فقد خشي أنه إذا لم يحكم حفظها بين أتباعه فقد يفقدها بالماراوعة والاحتتيال ، وبمختلف أساليب المكر والخداع ، وفعلنا ورد في أمثال الفلاحين . « من لديه جارس سيء فصعباحه سيء » .

وبعدما أعد بوهيموند لرحلته مرارا تمكن أخيرا أن يجمع في أوترانتو - إحدى مدن أبوليا - أكبر عدد استطاعه من السفن لقد جمع اثنتين وعشرين سفينة ، كانت عشر منها من النوع الطويل المزود بالمجاذيف ، وسارع بالتحضير لرحلته ، وفعل ذلك بعدما أودع بلاده وتركها لدوق أبوليا ، بعدما انتقاه وعينه وريثا له فيما لو تقدم عليه بالوفاة ، ومنحه الدوق بدوره الحق ذاته وثبته له عن طيب خاطر ، فيما لو كان الدوق أول من سيفارق الحياة بينهما ، وتم إبرام ذلك بحضور وجهاء القوم من الجهتين وشهانتهم .

وهكذا أبحر بوهيموند في أواسط أيلول ، فمر بشميكلاوس الموزعة حول سطح البحر ، فأتى إلى ميثون فرودس وبامغليا وليسسيا ، ووصل في عباب الأمواج إلى أنريا التي تملا بالرعب قلب كل من يبحر إليها ، ثم مر بأنطاكية الصغرى فأنطاكية الكبرى فأسوريا ، ثم مدينة سلوقية ، وكانت وقتها قبرص عن يمينه ، ثم بطرطوس فمدينة بلنياس التي باتت خرابا ، فكانت عن يمينه .

ونشر في تلك الفترة كثير من الناس الجشعين المتقلبين ، الذين وصلوا مؤخرا من وراء البحار ، حكاية روجوا لها بيننا في القدس افانت ان بوهيموند قد نزل إلى اليايسة فعلا في انطاكية ، بيد أنهم تاهوا فيما قالوه ، مع انه خيل إليهم أنهم قالوا الحقيقة ، وسبب ذلك أنهم سافروا مع بعض رجاله حتى وصلوا إلى بارتا برفقة الصقور والبزاة وصيادي الطيور والكلاب التي بعث بها مقدما .

المخاطر التي تعرض في البحر :

كثير هي المصاعب والمخاطر التي تواجه من يركب البحر - إذا ماشاء الرب بها وسمح - فقد تنقطع المرساة وتنفصل ، وقد يتحطم عمود الشراع ، أو مؤخرة السفينة المعكوفة المزخرفة ، أو قد تنفصم السلسلة المعدنية .

وعندما تغير الريح اتجاهها ، يراقب البحارة مؤشر دليل اتجاه الريح ليتأكدوا من أن السفينة تسير بالاتجاه الصحيح ، وهناك دوما خطر من أن تفقد مجراها في الليل ، وعندما تختفي النجوم وراء السحب ، أو عندما تجري فوق الصخور ، فهناك خطر محقق بحدوث الغرق والهلاك (أعمال الرسل : ٢٧ / ٢٠ ، ٢٩ - ٣٠) وكما في البر كذلك توجد المخاطر في البحر .

ولماذا نستغرب ما يجري لنا ، إذا ما تذكرنا حطام سفينة القديس بولس ؟ فقد ألقى ملاحوه الفادن كي يقيسوا به عمق البحر ، ولولم يشاهد ملاك الرب في محنته لانقطع رجاؤه بالنجاة (أعمال الرسل ٢٧ / ٢٣ - ٢٨) .

البحر العظيم :

اعتاد عدد كبير على مصادفة المخاطر في خليج أدريا ، فقد تهب الرياح شديدة من جميع الاتجاهات ، وتهبط من الجبال نحو الوديان ، ثم تنحرف بين الشعاب المنخفضة وتتجمع في إعصار في الخليج ، وإذا قابل البحارة في بعض الأحيان سفينة قراصنة ، فقد تسلب أموالهم ويحل بهم الدمار بدون شفقة ، أما الذين يعانون من ذلك كله محبة بالرب ، فهل تخيب آمالهم قط في ثوابه ؟ .

ودعنا نذكر بضع كلمات عن البحر : علينا ألا نغفل عن ذكر مصدر البحر المتوسط ، فبعضهم يعتقد أنه ينشأ من مضائق قادس ، وليس له مصدر غير مصب البحر المحيط الهائل ، أما الذين يعتقدون عكس ذلك فيذكرون أن تدفقه كله يأتي من مضائق بنطش ، ويدعمون ذلك بحجة راسخة أن المد من بنطش لا يرتد رجوعا أبدا . وعلى هذا لنرفع آيات الحمد والشكر إلى خالق الأكوان الذي « ثبت حدود البحر ووضع له تخوما ومداخل ، إذ قال له : إلى هنا تأتي ولا تتجاوز ، وهنا تتخم كبرياء لججك » ، وحين يندفع البحر هائجا مائجا باتجاه الشاطئ يتكسر إلى زبد ترده أدنى العقبات عن الشاطئ .

ثم ما الذي يمنع البحر الأحمر - اللهم إلا إذا نهت إرادة السماء عن ذلك - من أن ينضم إلى البحر المصري في سهول مصر ، حيث أنه يقع في منطقة أكثر انخفاضاً من الوديان ، المنبسطة التي تتصل به ؟ وأخيراً ورد في الكتب أن إثنين من الملوك رغبا في وصل هذين البحرين حتى يصب أحدهما بالآخر ، وكان أولهما سيسوتريس المصري ، وثانيهما دارا الفارسي ، وقد أراد هذا الأخير - نظرا لأنه تفوق على الملك المصري سلطة ومقدرة - أن ينجز ما سعى إليه ذاك .

ويدل هذا على أن المحيط الهندي ، الذي يقع فيه البحر الأحمر هو أعلى ارتفاعاً من البحر المصري ، الذي يقع على مستوى أشد منه انخفاضاً وليس على المستوى ذاته ، ولعل كل واحد من الملكين قد تخلى عن المشروع لكي يمنع البحر من أن يجري من مستوى مرتفع إلى مستوى منخفض ، فيفيض بذلك ويغمر البلاد ، وقد ورد هذا في مذكرات أمبروز ، في حين يذكر سولينوس غير ذلك .

كم هي عجيبة أذن أعمال الرب ، غير أن أعجب منها من خلقها ودبرها ، وإذا ما بدا بعضها قبيحاً في أعيننا فعلياً أن ننثي عليها على الرغم من ذلك ، لأن خالق الكون قد أبدعها . لقد زودنا الرب بالدواء في حشرة البق (المنزلي) فتقدم هذه الحيوانات الدواء أحياناً ، وتسبب الأمراض في أحيان أخرى أو قد تحدث الوفاة ، فهي تعطي الشفاء حيناً والضرر حيناً آخر ، ويحكى أنه إذا ما أعد ترياق مضاد لسموم لدغة الثعبان من لحم الثعبان وحده فهو ضار ، لكنه ناجح ومأمون إن مزج بمواد أخرى .

اصناف الثعابين :

أما الباسيليق فطوله نصف قدم ، وهو أبيض مثل تاج الأسقف وله رأس مخطط ، وهو لا يكتفي بتدمير الإنسان والحيوان فقط بل يتعدى ذلك إلى الأرض نفسها فهو يلفحها بالسموم ، وحيثما يكون يخلف وراءه مكمناً قاتلاً تذوي فيه الأعشاب والأشجار وتموت ، وهو يلوث الجو ذاته ، فلا يستطيع طائر أن يطير فيه بأمان لأنه يفسده بنفسه الموبوء .

وعندما يزحف الباسيليق يتحرك نصف جسده وينتصب النصف الباقي قائماً ، حتى الثعابين ترتعد لسماع فحيحه فتمتنع في الفرار

شاردة لاتلوى على شيء ، والذي يقتله الباسيليقي بلدغة منه لا يأكله حيوان بري ولا يقربه طير ، لكن ابن عرس يتغلب عليه ، لذلك يضعه الناس في جحره .

وصحيح أن أهل بيرغمون قد وضعوا في المعبد الذي جعلته يدا ايليس رفات باسيليق سددوا سيسترتيوم (عملة رومانية) كاملة ثمنا له بغية طرد العنكبوت حتى لا يغطي المعبد بنسجيه ولئلا تقطنه الطيور .

أما المثنية فلها راسان إثنان ، يقع ثانيهما في الذيل ، وللمقرنة أربعة قرون قصيرة وهي تطمر جسدها بعناية في الرمل ، ثم تبرز قرونها حتى تبدو وكأنها غذاء وبذلك تتخفى فتقتل الطيور ، وتمتص الحماوية الدماء بعد اللسع ، وهي تمتص الحياة من مجرى الدم في العروق ، وتصيب البرستا من تلدغه بتورم عظيم فيموت ، ويحل التعفن عادة بعد التورم ، وهناك أفاعي أخرى كثيرة لها أسماء مختلفة ، ومهما تباينت أسماؤها فكل منها يسبب الموت بطريقة مميزة .

أما العقرب والسنقور والسلحفاة فهي جميعا من صنوف الديان لا الثعابين ، وإذا ما زحفت هذه المخلوقات القذرة فخطرها أقل ، وليس لديها أي مشاعر إلا إذا هامت تبحث عن وليفها .

ويسطع ظهر السقطة بضروب الألوان ، ويأسر جمالها من يبصرها ، أما العطشاوية فتسبب العطش القاتل بلدغتها ، وتقتل النوامه بتسبيب النوم ذلك أن النوم يؤدي إلى الوفاة مثلما حصل مع كليوبترا ، ولن نأتي على ذكر أنواع الثعابين الأخرى لأن لدغتها قابلة للعلاج .

ولاتقل هذه الأعاجيب ادهاشا عما شاهده الاسكندر الكبير في

الهند ، فقد قال لمعلمه ارسطو ولوالدته اوليمبيا : « ماكنت لأصدق بوجود كل هذه الأنواع من الأعاجيب لو لم أشاهدها بنفسى » والحق يقال كان هذا الملك رجلا رائعا بكل ماتعنيه هذه الكلمة : كان رجلا عاقلا مدبرا في كل اموره نشيطا في همته وقويا في سلطانه ، ولم يكن كالريشة الطائرة ولا كالقش العائم .

وصول بوهيموند الأصغر ابن الدوق بوهيموند واستقباله في انطاكية :

وكان بوهيموند قد تأخر في إقلاعه في ذلك العام عما كان متوقعا حتى خيل للناس أنه لن يحضر حسبما أعلن وراج بينهم ، ولكن كما ورد في قول النبي ارميا : « ليس للمرء طريقه ، وليس لانسان يمشى أن يهدي خطواته ، ولكن الهى يأتسى مــــــ الرب » (ارميا : ١٠ / ٢٣) فلقد خدعتنا أوهامنا وخابت آمالنا ، والأمور لاتجري وفقا لأطماع البشر بل حسبما يقضى به الرب جزاء عادلا لهم .

وقد انتعشت قلوبنا عندما اخبرنا ملكنا في رسائله إلينا في القدس عن وصول بوهيموند إلى انطاكية .

واستقبل الجميع بوهيموند عند قدومه إلى انطاكية بسرور عظيم ، وسار الملك في موكب حافل واستقبله بحرارة وسط هتافات الناس المتوالية ، وعلى الفور عقد الملك و بوهيموند اجتماعا ، وإثر ذلك أعطى الملك الأمير بوهيموند بلاده بأسرها ومنحه إحدى بناته زوجة له .

شعر :

انظر ترى الختن وترى الصهر : الوالد والابن
فليوقر أحدهما الآخر ليزيد بذلك كلاهما منعة .

وبعدما تمت رسوم الزفاف عقد القران بالطريقة القانونية ، وجرى
تنصيب بوهيموند أميراً وهو جالس على عرشه ، وخلع عليه رداء
الامارة الجميل ، وبعد ذلك اجتمع النبلاء فأقسموا له يمين الولاء
الذي حق عليهم لكونهم رجاله ، وعاهدوه على طاعته والقيام بخدمته
اعتباراً من ذلك اليوم ، وانجز هذا كله بحضور الملك وبرضاه .

وعاد الملك إلى القدس بعدما تمت هذه الأمور .

شعر :

سطع برج السرطان بين نجوم السماء
وقت استقبال بوهيموند أميراً لأنطاكية

وقد انحسر الآن مدار هذا العام ، واستعد لبداية عام جديد .

وباء الجرذان :

في عام الف ومائة وسبعة وعشرين لتجسّد سيد الرب ، وفي
الخمس عشرة الخامسة ظهرت حشود من الجرذان في بلاد فلسطين
بأعداد هائلة ، حتى أن بعضاً منها قبض على مؤخرة ثور وخنقه ،
والتهمة والتهمة معه خمسة أكباش مخصصة ، وبعدما نشرت هذا
الدمار في أعماق ديار عكا اتجهت أخيراً نحو جبال صور بحثاً عن

- ٢٩٤٥ -

المياه ، ومن هناك طرحتهم إلى الوديان بالآلاف التي لاتعد ولا تحصى
رياح عاتية ، وعاصفة ضارية وبيلة ، وبقيت تلك المنطقة موبوءة
بجثثهم المهترئة .

انتهى هنا تاريخ الحملة الى القدس الذي كتبه فولتشر
أوف تشارترز .

الحواشي والهوامش

يوميات صاحب اعمال الفرنجة

- ١ - الكتاب المقدس - العهد الجديد : ١٦ / ٤٢ .
- ٢ - من المرجح أن المقصود بهذا بلاد فرنسا ، مما يوحي بأن صاحب الكتاب جاء من إيطاليا ، هذا وسبق لنا نشر أجزاء هامة من خطبة أوريان الثاني التي ألقاها في مجمع كلير مونت سنة ١٠٩٥ م لدى دعوته للحروب الصليبية ،
- ٣ - أعمال الرسل : ٩ / ١٦ .
- ٤ - لوقا : ٢١ / ١٥ .
- ٥ - متى : ١٢ / ٥ .
- ٦ - كذا ، ولم يحدث أن سافر شارلمان إلى القسطنطينية ، ولقد قيل بأن اشاعة راجت أثناء الدعوة للحروب الصليبية فيها بأن شارلمان عاد إلى الحياة وسار على رأس حملة صليبية نحو القسطنطينية .
- ٧ - ٢٩ - ايلول ١٠٩٦ م .
- ٨ - المعنى هنا جميع بلدان السلطنة السلجوقية لآخراسان المعروفة لدى المسلمين .
- ٩ - وصل هذا إلى القسطنطينية قبل بطرس بفترة وجيزة .
- ١٠ - كذا في الأصل ، ومفيد مراجعة هذه المعلومات على ما قدمته أنا كومينا ، ذلك أن جوتيه كان ما يزال في القسطنطينية .
- ١١ - يحسن العودة إلى رواية أنا كومينا حول أسباب عودته وغاياته .
- ١٢ - هو أنهمري مونتيل ، أسقف بوي اختاره البابا نائباً عنه في رعاية الحملة الصليبية وقيادتها .
- ١٣ - هو ابن وليم أخي روبرت جسكارد .
- ١٤ - هو ابن وليم الفاتح لانكلترا ، البكر .
- ١٥ - أخو ملك فرنسا فيليب الأول ، راجع ما جاء حوله في رواية أنا كومينا .
- ١٦ - رواية أنا كومينا حول هذا الموضوع أكثر تفصيلاً واقناعاً .
- ١٧ - يراجع في هذا الشأن ما أوردته أنا كومينا ، مع اعتبار محاولات الامبراطور إيجار غودفري وسواء من قادة الفرنجة على تقديم يمين الولاء له ، ومن ثم العبور إلى البر الآسيوي .
- ١٨ - كان أهل أمالفي في إيطاليا قد تمردوا على الحكم النور مندي ، وكان بوهموند مع غيره من الأمراء النورمنديين يقاتل ضدهم عندما وصل المتطوعة من الفرنسيين وسرعان ما أعجب بوهموند بفكرة الحروب الصليبية ، فقرر الالتحاق بالحركة ، وأخذ الطريق نحو العاصمة البيزنطية ، وقد قصت علينا أنا كومينا أولى التفاصيل حول نشاطاته .
- ١٩ - في تارنت وأوترانتو في إيطاليا .
- ٢٠ - يلاحظ إشارة صاحب المذكرات لنفسه وجماعته .
- ٢١ - كذا ، وكان بوهموند عدواً للامبراطور البيزنطي خاض ضده عدداً من الحروب قبل قيام الحروب الصليبية .
- ٢٢ - أي شباط لسنة ١٠٩٧ .
- ٢٣ - لعل صاحب الرغبة في الاغارة هو تانكرد .

- ٢٤ - في مقدونية الشرقية .
- ٢٥ - اسمها الآن كيشان ، ووصلوا إليها في أول نيسان سنة ١٠٩٧ م .
- ٢٦ - ١ - نيسان ١٠٩٧ م .
- ٢٧ - في رواية لنا كومينا تفاصيل أول حول زيارة بوموند للقسطنطينية .
- ٢٨ - تتعارض هذه المادة مع ما جاء في بقية المصادر ، ولا ندري أمرد ذلك إلى صاحب المذكرات ، أم أنها أقعمت بالنص لصالح بوموند .
- ٢٩ - ١٤ - أيار ١٠٩٧ .
- ٣٠ - يعرف أيضا باسم ستيفن ، وهو زوج أدبلا ابنة وليم الفاتح .
- ٣١ - مثل هذا قالت له لنا كومينا ، وبناء عليه قدر البعض عدد الفرسان بأكثر من مائة ألف .
- ٣٢ - التفاصيل التي أورنتها لنا كومينا حول حصار نيقية وسقوطها أول ويمكن الركون إليها ، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار قيام الخلافات إثر ذلك بين الامبراطور البيزنطي والفرنجة ، وأثر هذا واضح على رواية صاحب المذكرات هذه .
- ٣٣ - رؤيا يوحنا اللاهوتي : ١٠ / ٦ .
- ٣٤ - يرى بعضهم أنها قرب بلدة أسكي شهر ، بينما يذهب رنسمان إلى أن اسم المكان « ساري سو » .
- ٣٥ - هو جسر جكسو عند بلدة ليوك ، فهناك توقف الصليبيون للتشاور .
- ٣٩ - لاشك أنهم كانوا يهتفون بعبارة « الله أكبر » .
- ٣٧ - أي جيش صنجيل .
- ٣٨ - هذا صدى لمقوله تربنت في أيام الحروب الصليبية من أن التركمان والفرنجة من أصل واحد .
- ٣٩ - انظر صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية - تأليف عثمان الترك - ط . حلب : ١٩٦٠ ص ١٣٢ - ١٣٤ .
- ٤٠ - هي مدينة كوماننا ، وكان التركمان بزعامة أسرة الدانشمند قد حاصروها قبل وصول الفرنجة .
- ٤١ - سبق له عمل مرتزقا في الجيش البيزنطي .
- ٤١ - كان ذلك يوم ١٣ تشرين الأول ١٠٩٧ م .
- ٤٢ - يرجح أن هذا كان يوم ٢٠ تشرين أول .
- ٤٣ - أي العاصي .
- ٤٤ - أي يوم ٢١ تشرين أول .
- ٤٥ - ٢٩ كانون أول ١٠٩٧ م .
- ٤٦ - ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة إحدى وتسعين وأربعمائة : « وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكثها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم وبخول الأسييس (اتسز بن أوق) إلى مصر وحصرها ، فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكونوا بينهم وبين المسلمين » . الكامل ٨ / ١٠٨٦ .
- ٤٧ - ٩ شباط ١٠٩٨ .
- ٤٨ - من الجنوة الذين قدموا باسطولهم يوم ١٧ تشرين ثاني ١٠٩٧ . ٤٩ - يوم ٦ آذار ١٠٩٨ م .
- ٥٠ - انظر متى : ٢٥ / ٤١ .
- ٥١ - ٧ آذار ١٠٩٨ م .
- ٥٢ - من أنواع العملة لتلك الفترة .
- ٥٣ - هذه واحدة من الشهبانات المعبرة عن شره الصليبيين ومدى وحشيتهم وحقدهم .

- ٥٤ - ٨ - آذار ١٠٩٨ م .
- ٥٥ - كان ذلك يوم ٥ - نيسان ١٠٩٨ م
- ٥٦ - كذا والمرجح انه ارمني الاصل ، واسمه عند ابن الاثير روزبه وعند ابن العديم في زبدة الحلب . فيروز . وعند ابن الفلانسى - فيروز . ولعله الصواب ، ومفيد هنا التذكير بضرورة مقابلة رواية صاحب اليوميات بما أوردته أنا كوميثا .
- ٥٧ - ليلة ٢ - ٣ حزيران ١٠٩٨ .
- ٥٨ - غالبا ما يستعمل صاحب اليوميات هذه العبارة ليعنى بها واحدا من نورمان ايطاليا .
- ٥٩ - في المصادر الاسلامية ما يفيد أن يقي سفان سقط عن ظهر جواده ميتا أثناء فراره . فمر به بعض الارمن فعرفه فحمل رأسه إلى الفرنجة
- ٦٠ - يريد به السلطان السلجوقي بركياروق بن ملكشاه - انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام ٣٣٣ .
- ٦١ - أي يوم ٥ حزيران ١٠٩٨ م
- ٦٢ - لعله كان أحد الأبرجة التي قامت عند مدخل جسر العاصي .
- ٦٣ - أي المعركة التي هزم فيها كربوقا ، وسيأتي خبرها مفصلا . ووقعت في يوم ٢٨ حزيران
- ٦٤ - يوم ٦ حزيران
- ٦٥ - اسمه أحمد بن مروان - انظر زبدة الحلب لابن الحلب : ٢ / ١٢٩ - ١٣٨ .
- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية : ٢٣٦ - ٢٤٢ .
- ٦٦ - يشك بصحة هذه الرواية ، وهناك صدق للأساطير الاغريقية عن وجود نهر اسمه الامازون في اسية الصغرى عاش حوله جماعة من النساء اللواتي كن مقاتلات لم يعش بينهن أحد من الرجال
- ٦٧ - كذا ، والرسالة اختراع محض في الاسلوب والأفكار ، وفيها جهل فاضح ، فمن هم هؤلاء الأرباب والالهة وبيان الاسلام بيانة توحيدية ؟ .
- ٦٨ - المزامير : ٦٧ / ٣١ .
- ٦٩ - مزامير : ٧٨ / ٦ .
- ٧٠ - رسالة بولس إلى أهالي رومية : ٨ / ٩ .
- ٧١ - رسالة بولس إلى أهالي رومية : ٨ / ١٧ .
- ٧٢ - التثنية : ١١ / ٢٤ .
- ٧٣ - لاشك أن هذه الحادثة من ابداع خيال صاحب اليوميات ، وهي ذات اهداف دعائية
- ٧٤ - سفر الخروج : ٢٠ / ١١ .
- ٧٥ - الثالث لوصوله إلى أنطاكية أي حزيران ١٠٩٨ م .
- ٧٦ - مزامير : ٧٤ / ٤ .
- ٧٧ - شهر بكثرة رؤاه حتى قيل بأن عددها بلغ خمسا كان أولاها في ٣٠ كانون أول ١٠٩٧ ، وثانيها يوم ١٠ شباط ١٠٩٨ ، والثالثة يوم ٢٠ آذار ، والرابعة أثناء نهابه إلى قبرص . والخامسة يوم ١٠ حزيران ١٠٩٨ .
- ٧٨ - أثناء اشتداد حصار كربوقا لأنطاكية يوم ١٠ حزيران .
- ٧٩ - تبعا لصاحب المذكرات قتل غودفري هذا في معركة دوريليوم وهذا يعني انه لم يكن في المدينة .
- ٨٠ - يرى البعض أن كاتب هذه اليوميات كان بالأصل كاتباً له ، وقد كانت المدة بين هذا الكونت والامبراطور البيزنطي قوية ، فقد لاحظ الامبراطور حب الكونت للظهور فاهتم بهذه الناحية وأحسن استغلالها .
- ٨١ - دعت بعض المصادر اللاتينية هذا الجبل باسم الجبل الاحمر ، وأنه هو الذي يشرف على سهل أنطاكية الشمالي .
- ٨٢ - كان هذا كله قبل سقوط أنطاكية للصليبيين ، ولعل فراره في طريق العودة باتجاه

- القسطنطينية كان يوم ٢ - حزيران .
- ٨٣ - اسمها الآن آق شهر ، ويستدل من رواية لنا كومينا أن الامبراطور البيزنطي قدم إلى هذه المدينة وهو في طريقه إلى أنطاكية لنجدة الفرنجة .
- ٨٤ - غوي بن روبرت جيسكارد النور مندي ، كان أخا ليوهمند من أم ثانية ، اشترك مع أبيه سنة ١٠٨٤ في حملته على بيزنطة ثم هجر أباه والتحق بالامبراطور البيزنطي وبخل في خدمته ، هذا وقد تعرضت أنا كومينا لمسألة عوبة الامبراطور وعدم متابعة زحفه نحو أنطاكية .
- ٨٥ - تتباين الروايات حول هذه المسألة ، فمن متحدث عن مسمار إلى حربه أو غير ذلك ، وأن القضية برمتها خداع واختراع ، وقد يكون هذا ، وهو يدل على براعة متناهية ، ذلك أن العلاج أفاد وقاد الى رفع معنويات الفرنجة مما أعانهم على هزيمة كربوقا ومتابعة الزحف حتى القدس ، وحدث العثور على الحرية يوم ١٤ حزيران .
- ٨٦ - يتعارض هذا مع ما أورثته أنا كومينا وسواها .
- ٨٧ - أورد ابن الاثير في الكامل : ٨ / ١٨٦ - ١٨٧ . رواية تتوافق مع هذه الرواية حيث تحدث أولا عن مسألة الحرية والعثور عليها وما أعقب ذلك من صيام واحتفالات ثم قال: فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين بين خمسة وستة ونحو ذلك ، فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي أن ندف على الباب فنقتل كل من يخرج ، فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل ، فقال: لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ، ولم يمكن من معاجلتهم ، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجيين ، فجاء اليهم بذفسه ومنعهم ونهاهم ، فلما تكامل خروج الفرنج ، ولم يبق بأنطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما ، فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة بهم والأعراض عنهم ، وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج ، وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب منهم بسيف ، ولا طعن برمح ، ولا رمى بسهم .
- ٨٨ - كذا ولعله اخترع لغايات دعائية.
- ٨٩ - توجه كل منهم إلى منطقة اختص بها قبل معركة أنطاكية ، فعاد بوهوموند إلى اسسية الصغرى ، ونهب غودفري إلى الرها - أورفا - حيث كان أخوه بلدوين .
- ٩٠ - أي تل مذس .
- ٩١ - يوم ١١ - أيلول .
- ٩٢ - كان اسم الرجل الذي جرى اختياره « بطرس الناربوني » وهو أسقف لاتيبي جرت سيامته في بلاد الشام .
- ٩٣ - ٢٨ - تشرين ثاني ١٠٩٨ م .
- ٩٤ - من الملاحظ أن الفرنجة تفوقوا أيام الحروب الصليبية بتقنية بناء الأبراج الخشبية الضخمة العالية التي كانوا يحصلون على الخشب اللازم لصنعها من السفن الإيطالية وسواها ، وغالبا ما كان ارتفاع البرج أعلى من الأسوار للبلدة المهاجمة ، وزود كل برج متحرك بوسائل الهجوم وكباش ذلك الأسوار وغيرها من الآلات ، وغطي بالصفائح المعدنية وجلل باللبد المبلة بالخل للحيلولة دون احتراقه ، وطور المسلمون في هذه الفترة تراكيب فعالة من النيران الحارقة ووسائل أخرى للحيلولة بين الأبراج المتحركة وبين الوصول إلى الأسوار .
- ٩٥ - طلب تأخير موعد استئناف الزحف نحو القدس .
- ٩٦ - أي قصر يغي سغان ويقاع أخرى ، وكان بوهوموند يرغب بالانفراد في تملك أنطاكية .
- ٩٧ - من ١٧ إلى ٢٢ كانون الثاني ١٠٩٩ م .
- ٩٨ - من ٢٩ كانون ثاني حتى ١٤ شباط ١٠٩٩ م .
- ٩٩ - يريد بها قلعة حصن الأكراد .
- ١٠٠ - جناح الدولة حسين ، انظر ترجمته .
- ١٠١ - فخر الملك ابن عمار .
- ١٠٢ - أي عرقة .

- ١٠٣ - في العاشر منه .
١٠٤ - في تاريخ وليم الصوري اسمه روبرت وكان قسيسا نور منديا من اسقفية روان .
١٠٥ - ١٢ حزيران ١٠٩٩ م .
١٠٦ - الاول من آب ١٠٩٩ م .
١٠٧ - ٩ - آب ١٠٩٩ م .
١٠٨ - لاشك أن هذا من ابداع خيال الكاتب ، ومع هذا يروي العليمسي في الانس الجليل :
١ . ٣٠٨ خبر هزيمة الافضل ويقول : « وكان عند الافرنج شاعر منتجع إليهم ، فقال مخاطب ملك الافرنج واسمه صنجلي :
نصرت بسيفك بين المسيح
فله درك من صنجلي
وما سمع الناس فيما روي
بأقبح من كسرة الافضل
فتوصل الافضل إلى ذبح هذا الشاعر » .
١٠٩ - الثاني عشر من شهر آب ١٠٩٩ م .

أنا كومينا

١ - يرى ستيفن رزسمان أن معنى هذه العبارة « بطرس الصغير » وقد يكون هذا ، إنما قد شتهر الرجل عن طريق المصادر الأخرى باسم « بطرس الناسك » .

٢ - كذا ، ولا شك أن مثل هذه الأفكار لا تستحق الرد ، والمثير للانتباه هنا صدورها عن الأميرة أنا كومينا ، وليلة الغرفة الأرجوانية في القصر الامبراطوري في القسطنطينية ، وصاحبة الثقافة العالية والمكانة الرفيعة ، ولا شك أنها شهادة تدل على مدى تعصب بيزنطة والعالم المسيحي ضد الاسلام آنذاك ، أنها بحق وثيقة معبرة عن المشاعر الصليبية المتعصبة بشكل أعمى .

٣ - منطقة في الشمال الغربي من بلاد الاغريق ، بين بلاد بندوس وبحر ايونيان ، ومعنى اسم هذه المنطقة « البلاد المتوسطة » وهي بلاد جبلية ، قليلة الخصب ، مشهورة بكثرة قطعان الخيول فيها .

٤ - غودفري دي بولليون ، ودوق مناطق اللورين السفلى .

٥ - وصل الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية في الاول من شهر آب ١٠٩٦ ، وعبروا مضيق البوسفور في اليوم السادس منه ، وحدث هجومهم على نيقية - زنيق حاليا في تركيا - التي كانت مقر السلطان قلع ارسلان ، في شهر ايلول .

٦ - هيوغ أمير فيرماندوس الابن الأصغر لهنري الاول ملك فرنسا ، وإن أميرة كييف ، وعلى الرغم من إدعائه ودعواه العريضة غير العافية فإن أثره في السياسة الفرندسية يكاد أن يكون غير ملحوظا .

٧ - هو وليم أمير ميلون ، لقب بالتجار كما يبدو لقوته .

٨ - قدمت من البابا إلى الجنود الذين توجهوا للقتال ضد المسلمين .

٩ - يقع هذا المكان قرب بوسا ، فكاباليون وبوسا هما اسمان لمدينتين في تلك المنطقة ، وإنني لأمل أن يتوجه إلي واحد من الناس بالنقد لاستخدامي هذه الاسماء البربرية ، مشوهة نص تاريخي ، إنما حتى هومر نفسه لم يرفض الاسماء البوتونية ، وفي سبيل الدقة أتى على ذكر عدد من البربر . أنا كومينا .

١٠ - هناك بعض الشكوك حول هذا الرجل الذي تدعوه أنا أيضا باسم بنتازاس ، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه هو ريموند بروفانزس ، حيث أن عبارة بنتازاس تقابل عبارة بروفانزس ، وتستخدم أنا أحيانا عبارة « صنجيل » مع شيء من التشويه ، فريموند عرف باسم « سانت جايل » وكتب العرب اسمه « صنجيل » وسيرد ذكره كثيرا ، خاصة فيما يتعلق بمدينة طرابلس .

١١ - من العبارة اللاتينية Excussatan وهو عبارة عن قارب حفظ كما يبدو من قبل القائد في المرتبة الثانية .

١٢ - ٦ - كانون اول ١٠٩٦ م .

١٣ - إن القوس العفار هو سلاح خاص بالبرابرة ، ويكاد يكون غير معروف بالانسية للاغريق ، وحتى يشد هذا القوس ، لا يقوم الانسان بشد الوتر بيده اليمنى بينما يدفع بالسهم يميناً عن القوس بيده اليسرى ، فهذا السلاح الذي يرمي السهام إلى مسافة بعيدة جدا ، يحتاج الانسان في شدة إلى أن يستلقي إلى الأرض على ظهره ، وتقوم كل قدم من قدميه بالضغط بشدة على نصف القوس ، بينما تقوم اليدين بالشد بكل قوتها باتجاه الجسم ، ويوجد في منتصف الوتر فتحة تشبه الاسطوانة مقطوعة إلى نصفين ، ومرتبعة من أجل الوتر نفسه ، ويؤتى بعد هذا بسهم مناسب ، طوله يساوي المسافة ما بين الوتر ومنتصفه الوتر . ويرمى من هذه الفتحة بجميع أنواع الرمايات ، صحيح أنها أسهم قصيرة ، لكنها مثقلة برؤوسها الكبيرة ، ويعطى الوتر أثناء الرماية قوة هائلة إلى حد أن الرمية يمكن أن تفرق الترس والدروع الحديدية الثقيلة ، وتستمر منطلقة لمسافة بعيدة ، لذا لا يمكن مقاومة هذه الرمايات ، ومن المعروف أن سهماً من هذا النوع يمكن أن

يخرق جسم تمثال من البرونز ، وعندما تتم الرماية ضد سور بلدة كبيرة ، فإما أن يظهر طرف السهم من الجانب الآخر للجدار ، أو يدفن داخل السور ، ويختفي كلياً ، إن هذا هو القوس العفار ، فهو كما رأينا آلة رهيبة ، والتعس هو من يرمى بها ، ذلك أنه يموت دون أن يشهر بالرمية ، ودون دراية بقوة الضغط الدافع لها . لنا كومينا .

١٤ - تختلف عادات اللاتين فيما يتعلق بالرهبان عن عاداتنا ، فنحن ملتزمون بأحكام القانون ، وبتعاليم الانجيل التي تقول : « لاتلمس ، لاتزمجرجر ، لاتحارب » لانك معمد ، لكن البرابرة اللاتين ، ترى أحدهم يحمل قطعة من الآثار المقدسة ويشد تروسا الى يساره ، ويمسك رمحا يمينه ويتقرب الى جسد الالهة المقدسة ، ويحدق بالدم ويسفكه حتى يصبح هو نفسه ، رجلا دمويا » كما يقول داوود في المزامير ، وعلى هذا فان هذا الجذس تراء متسبنا بقدر اهتمامه بالحرب ، وعلى هذا فاللاتيني هو رجل عمل اكثر منه رجل رهبنة ، ويرتدي ثوب الكهنوت ، ويحمل المجناف ، جاهزا للملاحاة أو للحرب في البر والبحر سواء ، إن احكامنا كما سلف بي القول صادرة عن هارون وموسى ورهباننا الكبار - انا كومينا .

يلاحظ أن أنا كوميثا نقلت نص الانجيل بتمصر ف حيث النص « لاتهمس ولا تذك ولا تجس » رسالة بولس إلى أهل كورنثوس : ٢ / ٢١ .

١٥ - موقع تعذر تحليله .

۱۶ - قصر بلا شیرین .

١٧ - بنى منذ زمن بعيد من قبل أحد الابطرة - أنا كومينا .

١٨ - اشارة إلى ثورة ال كومنين .

١٩ - الثاني من نيسان ١٠٩٧ كان يوم خميس أيضا .

٢٠ - الأمانة (ترجمة انكليزية) : ٤ / ١٢٣ .

٢١ - المقصود بالشاعر هنا هو هومر ، لكن يلاحظ أن أنا كوميثا تنقل عنه بتصريف .

۲۲ - ما من شيء يقيني معروف حول رأؤول هذا .

٢٣ - كرس للقديس ميخائيل ، راعي البير الذي عرف باسم القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية وقد دفن هناك .

٢٤ - الاتفاقية : ٤٦٨ / ٢ - الأوبيسا . ٩ / ٥١ .

٢٥ - لربما كان هذا المعبد في سواسون .

٢٦ - هو ريموند كونت تولوز ومركز برودانز ، كان يأمل بقيادة الفرنجة جميعا في معاركهم ، وبذلك كان منافسا لبوهوند ، وهذا ما نراه واضحا في كتاب اعمال الفرنجة ، التالي لهذا الكتاب .

٢٧ - في نيسان ١٠٩٧ م .

٢٨ - في ايار ١٠٩٧ م .

٢٩ - هي الآن قرية متواضعة في تركيا على مقربة من استانبول اسمها « إزنيق » وكانت أثناء الحملة الاولى للصليبيين حاضرة دولة سلاجقة الروم

٣٠ - كان السلطان قلع أرسلان بعيدا آنذاك في الشرق يحارب ضد الدانشمند صاحب ملاطية ، ولربما أساء تقدير حجم الخطر الفرنجي ، وأعطى القصص حول الخلافات بين الفرنجة والامبراطور الكسيوس حجما أكبر مما تستحق ، وكان في داخل نيقية في ذلك الوقت زوجته وأولاده ونخائر ، مما يؤكد ثقة السلطان وبقية أن المدينة لا يمكن قهرها .

٣١ - أخذ هذا البناء اسمه منذ زمن مضى ، عندما جرت ترقية مازويل المشهور ، والامبراطور السابق اسحق كومنين مع اخيه جون (وهو جدي من جهة أبي) ، إلى مرتبة إمرة الشرق كله . وذلك من قبل الامبراطور باسيل ، وكان قصده وضع حد للحرب مع سكليروس إما عن طريق القوة ، أو باجباره على طلب المصالحة من خلال العمل الدبلوماسي . وحدث أن سكليروس كان رجل حرب ، يحب سدد الدماء ، فإنه رحب بالحرب أكثر من السلم ، ولهذا كان هناك كل يوم اشتباك عنيف ، ولم يكف سكليروس برفض المهانة بل قاتل بقسوة اشد وشجاعة اعظم

للاستيلاء على نيقية ، و تمكن بواسطة المجانيق من تحطيم شرفات السور وهدم الجزء الأكبر من هذا البر . مما سبب ميلان بقية أجزائه ، حتى بدا وكأنه راكع على ركبتيه ولهذا عرف منذ ذلك الوقت باسم غونتار - أنا كومينا - .

لقد تحدث المؤرخ البيزنطي ميخائيل بزللوس في الجزء الأول من تاريخه عن حملة باسيل ضد سكليرس . انظر ص : ٣٠ - ٣٢ من الترجمة الانكليزية ط . لندن ١٩٦٦ .

٣٢ - القتال الضيق بين جزيرة يوريبيا والبر الاغريقي ، مشهورة بتياراتها .

٣٣ - بحيرة اسكانيا إلى الغرب من المدينة .

٣٤ - يبدو أن زاخاس هذا كان من المرتزقة التركمان العاملين لدى الامبراطور وسيرد اسمه بعد قليل ص ١٥٧ ، وقد أخذ يعمل لحسابه الخاص ضد الامبراطور .

٣٥ - قيل بأنها كانت ابنة زاخاس ، انظر ص ١٥٨ المقبلة .

٣٦ - فراغ بالأصل .

٣٧ - في منطقة اسكي شهر الحالية في تركيا ، ووقعت المعركة يوم الاول من تموز سنة ١٠٩٧ م ، فقد بدأ بوهمونن زحفه يوم ٢٦ حزيران ، وتبعه البقية يوم ٢٨ ثم ٢٩ وهكذا .

٣٨ - لربما المقصود هنا ملك غازي كمشكين بن الملك دانشمند الذي توفي سنة ١١٨٤

٣٩ - الايالة : ٥ / ٢٩٩ .

٤٠ - وصل الفرنجة إلى أنطاكية يوم ٢١ تشرين اول ١٠٩٧ م ، وسقطت المدينة لهم في الثالث من حزيران سنة ١٠٩٨ م .

٤١ - قيل اسمه فيروز - أو نيروز ، ارمني الاصل ، تظاهر بالندخول في الاسلام وبإلطاعة والاخلاص ليغي سغان والي أنطاكية ، وأضمر له العداوة والحدق .

٤٢ - برج الاختين ، وقد درس رنسمان بشكل واف أخبار سقوطه معتقدا على مختلف الروايات ، وذلك في المجلد الاولى من كتابه تاريخ الحروب الصليبية ، والكتاب مترجم من الانكليزية إلى العربية .

٤٣ - هي مدينة أزمير الحالية بتركيا .

٤٤ - لم استطع ضبط الصيغة التركمانية الصحيحة لهذين الاسمين ، فالاسم الثاني اسم مركب من عبارتين هما : تنجري ، وبيرمس ، وأعرف أن تنجري كلمة تركية مفولية تعني رب السماء ، لكنني غير متأكد من الشطر الثاني « بيرم » ؟

٤٥ - تدعى أحيانا باسم عرب سوس ، ولها ذكر في المصادر المبكرة التي تتحدث عن أخبار الفتوحات الاسلامية ، وهي مدينة أهل الكهف في بعض المصادر الجغرافية العربية .

٤٦ - اسمها الآن بولفاين في تركيا .

٤٧ - اسمها الآن علي شهر في تركيا .

٤٨ - اسمها الآن آق شهر .

٤٩ - التحق كل من وليم أوف غرانتمستيل مع ستيفن أوف بليوس وبيتر اليافاس بالامبراطور في حوالي منتصف حزيران ١٠٩٨ م .

٥٠ - سقط بالأصل ، والجدير بالذكر هنا انه يحول بيننا وبين معرفة مصير الاسرى ، وما فعله الامبراطور بهم .

٥١ - في كنيسة القديس - القسيان - بطرس في أنطاكية .

٥٢ - تتحدث أنا هنا عن مسامر ، لكن اللاتين يتحدثون عن حرية أو رمع مقدس .

٥٣ - من الملاحظ أن أنا تمزح هنا بين بطرس الناسك ، وبيطرس بارثلميو ، وأدهمرا سدف بوي ، وتحسن العودة إلى رواية صاحب يوميات أعمال الفرنجة .

٥٤ - روبرت كونت فلاندر .

٥٥ - سقطت في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ م .

٥٦ - سبق لنا أن أشارت في الفصل السابق - الكتاب العاشر - إلى أن عدد الكونتسات الذين

- وقعوا في الأسر وحملوا إلى مصر هو / ٣٠٠ .
- ٥٧ - بني الحصن على تلة الحجاج خارج طرابلس ، ودعاه العرب بساسم حصن - أو قلعة - صنجيل .
- ٥٨ - مات في ١٨ تموز لسنة ١١٠٠ ، ربما بسبب إصابته بسهم ، أو إصابته بالتيفوئيد ، وقد دفن في كنيسة القيامة .
- ٥٩ - الذي كان آنذاك في منطقة الرها ، - أنا كومينا .
- ٦٠ - يوم ٢٥ كانون أول لسنة ١١٠٠ م .
- ٦١ - يبدو أن معظمه كان من اللومباريين .
- ٦٢ - كان هدفهم انقاذ بوهموند الذي وقع في الأسر لدى التركمان في شهر آب .
- ٦٣ - يوم ٢٣ حزيران سنة ١١٠١ م .
- ٦٤ - تعرف هذه المعركة باسم معركة المرزيان ، وقد وقعت في خريف سنة ١١٠١ ، وفيها قتل حوالي أربعة أخماس الجيش الصليبي .
- ٦٥ - هي بافرا الآن على قم نهر هاليس .
- ٦٦ - وليم جوربان كونت سربينية .
- ٦٧ - كان قسطنطين حاكم قبرص آنذاك - أنا كومينا .
- ٦٨ - تتابع أنا فيما يلي سرد أخبار حوادث وقعت في ١٠٩٨ - ١٠٩٩ ، وهي أسوء الحظ عادة سيئة من عاداتها .
- ٦٩ - هو ديميرت رئيس أساقفة بيزا ، جرى تعيينه بطريركا على القدس من قبل البابا أوربان الثاني سنة ١٠٩٨ م ، إثر موت انهمر أوف لي بوي ، وجعلت أنا التي كانت تذكره رجال الدين اللاتين ديميرت يبدو وكأنه المسؤول عن تنظيم الاسطول البيزي .
- ٧٠ - ولد لاندولف في ايطاليا ، ولاشك أنه كان يفهم طرائق عمليات البحرية اللاتينية .
- ٧١ - تستعير أنا أوصافها من هومر .
- ٧٢ - هوميروس - الاوديسا : ٣ / ١٧١ .
- ٧٣ - إلى الغرب من صقلية .
- ٧٤ - اسمها الحالي كورغوس .
- ٧٥ - تعالج الاميرة أنا الآن حوادث سنة ١١٠٤ ، علما بأن السفن الجنوبية كانت تجوب بحار المنطقة منذ سنة ١٠٩٧ م .
- ٧٦ - لأسية الصغرى .
- ٧٧ - ميناء من موانئ العصور الوسطى كان يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طرسوس ويبعد عنها مسافة / ١٥ ميلا ، وقد حل محله ميناء مرسين الحالي في تركيا .
- ٧٨ - لم تأت المصادر اللاتينية على رواية هذه القصة ، ولهذا يرى البعض أنها محض اختراع ، ولربما كانت من ابداع خيال أنا كومينا ، علما بأن بوهموند كان قادرا على مثل هذه الاعمال .